

الرحيل إلى شمس يثرب

شوقي بزيع

هل أقذف الرمل نحو السماء ؟
وماذا إذا مت
ماذا إذا قتمت
ماذا إذا أنكرتني الدماء ؟

* * *

هذه الأرض فارغة
وأنا وردة الرمل ،
وأنا وردة الرمل ،
هل شجر غير صدري يفرخ في هذه البيد ؟
لقد نسيتني الحروب
ولم تترك الشمس ظلاً لجسمي على الأفق ،

يا طائر العمر
ماذا تبقى من العمر ،
هل تذكر امرأة ذبلت في المواويل
وانطفأ القمح في صدرها مثل زنب ؟

يا طائر العمر
هذا هو القلب يقفز بين جناحيك
فاذهب إلى شمس أحلامهم
وقل للتراب الذي ضمهم

إن زنب ذاهبة في السواد العظيم
وإن الرياح مخضبة بالغصون القتيلة
ويا طائر العمر

خذني هواءً لرحلتك المستحيلة
إن تلك الأغاني التي يبست في وجوه المغنين
تنقل جفني بالموت أو بالغناء

لقد ذبلت وردة العين منذ سنين
فمن أين ينبت هذا الذي يشبه الدمع ،

تلك المصونة بالدمع والصلوات ،
تحلّق بي من بعيد
وترمقني نجمة من وراء الحجب
فأشعر أنني تقدّمت في العمر حتى نهايته
وأن هلالاً تقوّس في ظلمة النهدي وانشقّ
فارتعش النهر ،
هل أسرج النهر أم أترجع ؟
مولاي إني أرى يثرب الآن في قاعه
وأغمض جفني فلا أبصر النهر ،
لا أبصر القاع ،
لكنني ألمح الفارس الهاشمي القليل
والمح خيطاً من الدم يمتد من أسفل النهر
حتى يوازي النخيل

* * *

.. وزينب تحصي الرمال وتمضي
تقدّمها الدمع نحو المخيم فاحتشدت بالبكاء
وصاحت بأجمل أصواتها :
إن هذي السماء محايدة
غير أن العصافير تنحاز ،
من يتقدم للموت ،
هل أحد في المدينة ؟
هل أحد في الرمال ؟
أنا زينب العربية أدعو الرجال إلى موتهم
والنساء إلى أخذ زيتهن
وأستاذن القمر المتردد أن أغلق الأرض ،
- سيدتي !

كيف أخرج للحرب دون دليل ؟
- هي الحرب جاءت إليك
- ولكنني لا أرى أحداً غير سيفي
وحشجة العمر ،
سيدتي !

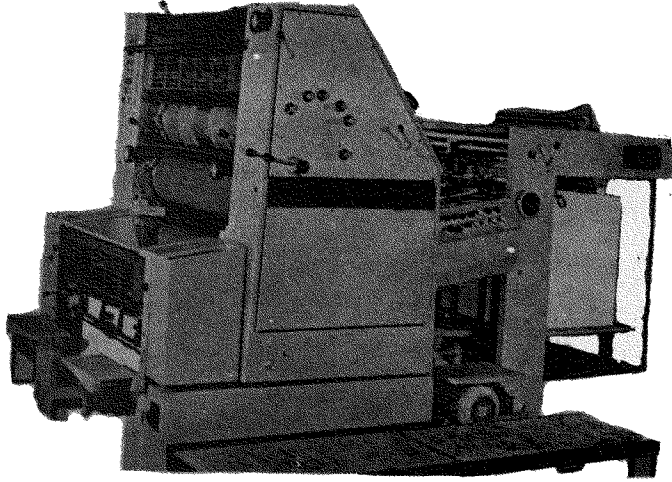
هل أقاوم بالدمع هذا العطش
وهل أقذف النهر نحو المخيم ،

هذه الأرض فارغة
والصحاري تلوح على الأفق مثل بقايا الأغاريد
أو مثل عرس مضي
والفرات ارتدى زينة الليل
وافترشته النجوم
كل شيء ينام على صفحة النهر ،
شمس القبور ،
انكسار المغنين ،
رائحة النخل ،
هل يذكر النهر ؟
كانوا يسمونه وردة الميتين
ويمشون خلف المياه إلى آخر العمر ،
ها هو يمضي بطيئاً
والصبايا تهادين فوق المياه البعيدة كالسفن
الورقية

يحملن أحزانهن ويذهبن في الانتظار الطويل
تهب الأغاني على حلمهن الجميل
وما زلت أرقب تلك الضفاف البعيدة عن
شمس يثرب

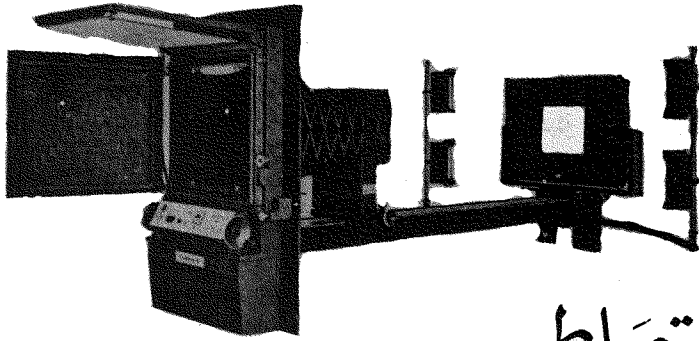
أو ظلّها في الغيوم
لقد نسيتني المواعيد في أول الحزن وابتعدت
- كم بلغت من العمر ؟
- عشرين عاماً
ولكن يثرب تنأى
ولا وقت للرمل ،
يثرب مثدنة الروح
شيء يراوح بيني وبين العصافير ،
يا سيدتي !

إنني أفرد الآن صدري أمام النجوم
وأسألك المَعذرة
أنادي الغيوم التي احتشدت في المساء
كي تنحني لقدمك
وها إنني أرفع الأرض عن شجر في يديك
ولكن يثرب ..



مؤسسة جواد للطباعة والتصوير

لصاحبها: علي محمد جواد



تتعاطي

جميع أنواع الطباعة الفنية بالأوفست
وتحضير جميع أنواع البلاكات الأوفست
من كتب مدرسية وأدبية ملونة وغيرها

بيروت - لبنان - شارع الزهراوي - ملك بزي - تليفون ٢٣٢٦٦٤ - ٢٩٠١٣٣

من أين تأتي صحارى البكاء ؟
سأركض فوق القبور التي مات أهلي على جذعها
أقول لها : يا قبورُ اسمعيني
اسمعي وقع صفصافتي في الهواء
فإن أزهرت في الظلام القبورُ
ونادى المنادي بأن الذي يُمطر اليومُ
جرح السماء
سأزرع ريحانةً في طريق الرياح التي حلت
رجع صوتي إلى كربلاء

* * *

وخذها تحت شمس الخيام
أومات للندى
فأتاها على صهوة الصبح
وانتشرت في براري الكلام
فلما دنا الليل ألتت على وجهها نظرةً
فاستوى النهر بين يديها
ونادت أخاها
فنادى الحصى خلفها
والرياحين
والفرس الهاشمية نادت
وشمس الأكف وضأوها
والمناديل
واحتبس الماء خلف ينايعه
والكواكب أفضت بأسرارها للتراب
فهبت على الخلق ريح زوام
- كم بلغت من العمر ؟
- خمسين عاماً
ويثرب تنأى فتسكنها وحشة الانبياء
وزينب تخضرت في الرمل
ثم تغني
فتأتي العصافيرُ
والأرض تصبح بيضاء مثل المواويل
أو مثل نهر دفين
وزينب تبكي
وتبكي
وتبكي
ولكن يثرب تنأى إلى أبد الأبدين (*)

(*) من مجموعة شعرية تصدر قريباً عن « دار الآداب »